مجلة دراسات تاريخية
ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

رحلة العياشي مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القن (10هـ/17م)

Al-Ayashi's Travel is one of the sources of the history of the Hedjaz in century (10AH/17AD)

بلخوص الدراجي
Belkhos Derradji
جامعة الدكتور يحي فارس-المدية- (الجزائر)
belkhosderradji@gmail.com

الارسال: 28/02/22 القبول :24/03/22 النشر:16/04/2022 المرسل: بلخوص الدراجي

الملخص :

الهدف من هذه الدراسة هو رصد الصورة التاريخية لمنطقة الحجاز خلال القرن (11هـ/17م) من خلال ما كتبه العياشي في رحلته المسمى ماء الموائد التي جاب من خلالها الكثير من المناطق المشرق الاسلامي ، ومن اهم ما حملته رحلة العياشي عن الحجاز خلال المرحة التاريخية المدروسة تسليط الضوء على الكثير من الخصائص الطبيعية والجغرافية لهذه المنطقة، فضلا عما اورده العياشي كشاهد عيان من أخبار قيمة شملت مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

الكلمات المفتاحية : الرحلة ؛ العياشي؛ المصدر ؛ التاريخ ؛ الحجاز.

Abstract:

The aim of this study is to monitor the historical picture of the Hedjaz region during the (11AH/17AD) through what Al-Ayyachi wrote in his journey called "ma'almawayid" through which he toured many areas of the Islamic East. Shedding light on many of the natural and geographical characteristics of this region, as well as what Al-Ayashi reported as an eyewitness of valuable news that covered various fields of economic, social and cultural life.

Keywords:Journy; Al-Ayyachi ; Source ; History ; Hedjaz.

المقدمة

تعد الحجاز اهم منطقة عند المسامين اما تمثله من رمزية دينية وروحية كونها مركزا لام مقدسات المسلمين الا وهما الحرمين الشريفين مكة المشرفة ومدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الاهمية جعلها نقطة ومركز جذب واستقطاب للكثير من الرحالة ورجال الدين ، الذين توافدوا عليها اتباعا من مختلف اقطار العالم الاسلامي مشرقا ومغربا ، على مر العصور والسنين ، وحتى وان اختلف اهداف هذه الرحلات من اهداف دينية الا انها شكلت لنا اضافة مصدرية هامة لدراسة تاريخ الحجاز خلال هذه المرحلة واما سكوت الكثير من المصادر التاريخية عن تاريخ الحجاز خاصة في شقه الاقتصادي والاجتماعي جاءت رحلة العياشي المسمى ماء الموائد خلال القرن الحادي عشر هجري /السابع عشر ميلادي والتي تعد من اهم الرحلات المغاربية لتسد هذه الثغرة . نظرا لما تحتويه هذه الرحلة من معلومات قيمة حول تاريخ المنطقة في مختلف الجوانب الحضارية . و سنحاول في هذه الدراسة التطرق والتركيز على ما كتيه العياشي وفق اشكالية رئيسية مفادها : الى ايم مدى تعتبر رحلة العياشي مصدرا دراسة تاريخ الحجاز ؟ وتندرج تحت هذه الاشكالية تساؤلات وهي :-

- من هو العياشي ؟

- ماهي اوضاع الحجاز خلال القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي ؟

- بما اتصفت الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالحجاز من خلال رحلة العياشي ؟

ولطبيعة الموضوع اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي

1.التعريف بالعياشي:

1.1. **مولده وتعليمه:** هو عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن يوسف بن موسى العياشي المغربي المالكي الصوفي ولد بالمغرب بقبيلة مت البربر تدعى ((آل عياش)) بسجلماسة ، ولد لليلة بقيت من شهر شعبان من سنة 1037ه

[1] الموافق لشعر ماي من سنة 1628م . كان أبوه شيخ زاوية ، وهو الذي أشرف على تعليمه ودراسته الاولى ، ثم انتقل بعدها الى زاوية وادي درعة وتتلمذ على يد الشيخ محمد بن ناصر ، ثم عاد الى فاس وأكمل تعليمه على يد عدة مشايخ منهم عبد القادر الفاسي وهذا الاخير أجازه سنة 1063م (1653م) . رحل العياشي الى المشرق ثلاث مرات ، الاولى كانت سنة 1053ه (1649م) ، والثانية 1064ه(1653م) ، والثالثة سنة 1073ه(1661م)[2].وكانت وفاته سنة 1090م (1678م) [3]بالمغرب بسبب الطاعون [4].

2.1 .آثاره : كان أبو سالم فقيها صوفيا وأديبا [5]، له منظومة في البيوع وأخرى في التصوف سماها "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية " ، ومن آثاره أيضا كتاب " اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الاثر " وله أيضا " اتحاف الأخلاء بإجازات الأجلاء" ، وسوق النفوس واني النفس [6] .لكن المؤلف الذي اشتهر به العياشي هو الرحلة (ماء الموائد) والتي وصف فيها طريق الحجاج من المغرب الى مكة المكرمة.

1.3 إجازات العياشي: الاجازة هي احدى طرق الرواية عند المحدثين من اهل العلم لذا تنوعت في معناها وأدائها باعتبارات لا تخرجها عن معنى تحمل العلم عن الشيوخ في الجملة [7].

وممن اجازوا العياشي من الشيوخ المشارقة نذكر :

-الشيخ ابراهيم لن حسن الكوراني الشهرزوري .

-الشيخ ياسين بن محمد بن غرس الدسن الشافعي الانصاري الخليلي من المدينة المنورة .

-الشيخ عمر بن عبد القادر المشرفي.[8]

2. الرحلة ومسارها:

هي كتاب ضخم سماها العياشي ب: "ماء الموائد" [9]، تضمنت هذه الرحلة أخبارا وحوادث مختلفة عاشها العياشي و شاهدها أو سمع عنها أثناء رحلته وسفره ، وأهم ما جاء فيه ذلك الوصف للطريق الصحراوي ، وللسكان وعوائدهم وأحوال معيشتهم والأمن ، والحديث عن العلماء والدين ، ومتاعب السفر والمسافرين [10]، مع اهتمام العياشي بالجانب الديني وهذا من خلال اهتمامه وتركيزه على مزارات وقبور الصالجين (نذكر مثال)[11]. والرحلة ماء الموائد جاءت في مجلدين طلعت طبعة حجرية بفاس1316 ه(1898م) اختصرها محمد لن الحسن بناني [12].

والعياشي في مؤلفه هذا ابتعد عن التقاليد التي أسسها الرحالة الاولون كابن جبير الاندلسي ، والعبدرلي وغيرهم من الرحالة ، حيث نجد أن العياشي بوصف مراحل الرحلة والاعتمام بالناحية الطبيعية والجغرافية ، وبالسكان وعوائدهم وأخلاقهم مما يجعل القارئ يقرأ الرحلة وهو يتلذذ مستفيدا من معطياتها . وبهذا يكون العياشي قد جعل من رحلته مؤلف علم حشر فيه من المناقشات العلمية الفقهية والصوفية وغيرها ، والاكثر من هذا الاجازات والاسانيد ، الشيء الدي كان السابقون يخصصون كتب البرامج والفهارس لذلك الذوق العام [13].

مسار الرحلة :وقد كان خط سير رحلة العياشي حيث انطلق من سجلماسة مرورا بالمغرب ثم الجنوب الجزائري فالجنوب التونسي فطرابلس فالقاهرة فالحرمين الشريفين ثم انتقل بعد ذلك الى اهم المدن الشامية غزة، الرملة ، بيت المقدس ، الخليل [14].

3.الحجاز الموقع والتسمية:

1.3.الموقع: يقع الحجاز في الجزء الشمالي من شبه الجزيرة العربية ، وهو احدى اقسامها الستة وهي كلا من الحجاز ، نجد، الاحساء ، اليمن وحضر موت وعمان .أما حدود الحجاز فنجد من الشرق صحراء نجد ، ومن الشمال سوريا ومن الغرب البحر الاحمر ، ومن الجنوب منطقة العسير . أما فلكيا فهي محصورة بين خطي عرض 29.30شمالا حيث خليج العقبة وخط عرض 20 شمالا . يمتد طول الحجاز من الشمال الى الجنوب على مسافة 1126.5كيلومتر ومن الشرق الى الغرب 563كيلومتر[15].

التسمية :الحجاز هو الجبل الذي يفصل او يحجز بين البلاد المرتفعة نجد والاراضي المنخفضة حيث ساحل البحر الاحمر ، وسميا بالحجاز لأنها احتجزت بالحرار الخمس ومنها حرة بني سليم وحرة واقم . وكذلك سميت لان جبل السراة وهو من اعظم جبال العرب اقبل من قعرة اليمن فحجز بين تهامة ونجد فسميت بالحجاز [16].

4.الاوضاع السياسية للحجاز خلال القرن (10ه/17م):

منذ 969م/358ه الى غاية 1925م /1344ه. تداول على حكم الحجاز اربعة اسر من الاشراف وهم :

-اسرة بني موسى وهم الموسويون

-اسرة بني سلمان وهم السليمانيون

-اسرة هاشم وهم الهاشميون

-اسرة بني قتادة وهم القتاديون

قسمت الحجاز الى ستة مناطق وهي مكة ، المديمة المنورة ، الطائف ، جدة ، ورابغ وينبع. و كانت جدة هي المركز في البداية لتصبح مكة هي المركز [17].

بعد استيلاء العثمانيون على مصر ودخول السلطان سليم الاول القاهرة 923ه/1517م سارع شريف مكة بركات بإرسال ابنه الشريف أبي نمي الى القاهرة [18]، في الخامس من تموز (يونيو) 1517م ووصلت بعثة ابو بركات برئاسة ابنه وولي عهده ابو نهى محمد الى القاهرة وقدم التهاني والهدايا للسلطان العثماني سليم الاول وسلمه مفاتيح الكعبة مؤكدا بذلك اعترافه بالسلطان سليم كحليفة للمسلمين [19].وكعربون محبة ابقوا على الشريف بركات بن محمد بن بركات (903ه/1497-931ه/1524م) شريفا على مكة وتوابعها[20] . وارسل اليه القفطان والخلعة [21].

حافظ العثمانيون على استقلال الحجاز واعترافهم بوضعهم الخاص وبالحقوق الموروثة للأسرة الهاشمية ، واكتفى العثمانيون بالسيطرة وحراسة الشواطئ وذلك من خلال انشاء حاميات عسكرية اهمها حامية جدة التى

تحولت الى قلعة للسيطرة على البحر الاحمر وبها اقام الباشا العثماني قائد القوات المسلحة للباب العالي واصبحت جدة عاصمة سياسية وعسكرية وتجارية للحجاز ، هكذا دخلت مكة والحجاز تحت الحكم العثماني [22].

ولم يخضع الحجاز للقانون العثماني كبقية الايالات العثمانية الاخرى وانتسب شريف مكة مكانة مرموقة في النظام الهرمي العثماني ، واصبح الشريف بمثابة وزير في الدولة العثمانية ، وهذه المكانية سببها المكانة الدينية لأشراف مكة ومن ورائهم منطقة الحجاز ، كما ابقى العثمانيون على ما كان يصل الحجاز من اموال وصدقات وغيرها من المداخيل ، وزادوهم على ذلك . ومنذ منتصف القرن 16م بدأت دفاتر التعيينات العثمانية تشير الى لواء مكة الشريفة ، ولواء مكة المكرمة [23]. وكان لواء مكة احيانا تابع الى مصر واحيانا اخرى الى ايالة الحبش واحيانا الى مركز الدولة لكن نتيجة للمكانة الدينية لأشراف مكة الذين ينتسبون الى البيت النبوي ، اصبحت مكة ايالة مستقلة تحت اسم شرافة مكة المكرمة وذلك في عهد الشريف زيد بن محسن [24].

5. الحجازفي رحلة العياشي :

لقد رسمت لنا رحلة العياشي (ماء الموائد) صورة حية عن الاوضاع التي التى كانت تسود منطقة الحجاز خلال الفترة الحديثة (القرنين 11ه -17م) ، هده الصورة عكست كل المجالات السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وحتى الجانب الطبوغرافي للحجاز كان له حصة من وصف العياشي .

1.5.الاوضاع السياسية للحجازفي القرن 11ه/17م

حملت لنا رحلة العياشي بعض المعلومات حول الوضع السياسي بالحجاز حيث نستنتج من وصف العياشي للوضع السياسي ان منطقة الحجاز رغم انضوائها نحت لواء الدولة العثمانية ،الا ان هذه التبعية والانضمام لا تدل على ان البلاد كانت من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب تحت سيطرة العثمانيين وانما كان التواجد العثماني محصورا في المدن عامة والمدن الكبيرة منها بصفة خاصة ، ففي هذا الشأن يصف العياشي التواجد العثماني بمكة على ان شريف هذه المدينة لم يكن حكمه يتجاوز اطرافها ، وتفس الشيء ينطبق على مدينة جدة ، والمدينة المنورة.

وللتحكم بهذه المدن ومن ورائها منطقة الحجاز ككل عمل العثمانيون على انشاء الحاميات العسكرية بمدن الحجاز الرئيسية فالمدينة المنورة كان يوجد بها اقامة كبير العسكر التركي بالقلعة الموجودة بالمدينة[25]. ولتحصين المدن بنى العثمانيون بعض الحصون حولها ، هذه الحصون تمتاز ببنائها المحكم ، تحرسها عساكر لا تفارقها ليل نهار[26]. وكل مدينة من هذه المدن لها ابواب تغلق ليلا مثلما يوجد بالمدينة المنورة[27].

شهد القرن 11ه (17م) ضعف الدولة العثمانية وانتشر الفساد في مؤسسات الدولة المركزية بعاصمتها ، هذا الضعف كان له انعكاسا على مختلف ايالات واقطار الدولة ، حيث انتشرت الفوضى وعدم الاستقرار في الكثير من الولايات ، وهذا ما كان في صالح الحكام المحليين على مستوى هذه الولايات حيث تمكنوا من

الاستبداد بالحكم ، والحجاز كباقي هذه الولايات كان له نصيب من هذا التأثير خلال هذا القرن رغم انه كان يتمتع بحكم ذاتي وعدم تطبيق القانون العثماني به[28].

لم يتدخل العثمانيون في امور الحجاز خلال القرن 10ه(16م) الا نادرا ومنحو اشراف مكة صلاحيات واسعة بإقليم الحجاز ماعدا المدينة المنورة ، ينبع وجدة ، لكن الاحداث التي عرفها القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر ميلادي وتدخل القادة والعسر في الامور الداخلية للحجاز اقنعت اشراف مكة (زيد بن محسن) قد فقدو ا مكانتهم القديمة [29].

اما عن حاكم الحجاز فيذكر لنا العياشي امير وشريف مكة والحجاز الشريف زيد بن محسن حيث يقول :" **بينما نحن بها جالسون اذ مرتميرمكة الشريف زيد في موكبه وله شارة حسنة ، معه طائفة من الأشراف والجند** .." [30]. حكم زيد بن محسن الحجاز مدة 35 سنة(1041ه/1631م-1077ه/1666م) فرض خلالها سلطة واسعة وحد من تدخل العثمانيين قادة وموظفين في شؤون حكمه ، ليبتعد بذلك الحجاز ومن ورائه بلاد الحرمين الشريفين عن الفساد والفوضى والاضطرابات التي عرفتها الدولة العثمانية خلال القرن 11ه(17م) واعاد للحجاز الحكم الذاتي الذي كان يتمتع به خلال القرن السابق (10ه) . ليستمتع الحجاز في عهد محسن بن زيد بالاستقرار والامن والازدهار ، وهذا ما جعل المؤرخون يلقبونه بسلطان الحرمين [31].

الاضطرابات السياسية : رغم الاستقرار والامن الذي عرفه الحجاز زمن زيد بن محسن الا ان هذا لم يمنع من حدوث اضطرابات سياسية وامنية في الكثير من مناطق الحجاز ، هذه الاضطرابات كان نتيجتها انعدام الامن بالبوادي والمدن على حد سواء وخاصة في مواسم الحج ، وهذا الوضع ساهم في انتشار اللصوص عبر مختلف الدروب والبوادي ، والشيء الادهى هو وجود قبائل تمتهن الغصب والنهب وقطع الطريق. وحتى داخل الحرمين الشريفين كان الناس لا يأمنون على انفسهم [32]. وللحد من ظاهرة قطع الطريق و توفير الامن على مستوى الطرق الرئيسة لجات الدولة العثمانية على نشر عدد من العساكر عبر هذه الطرق خاصة الطرق التي تربط بين المدن الكبرى وهذا الاجراء خاصة مواسم الحج [33].

هذه الاضطرابات كانت لها اسباب متعددة لخصها لنا العياشي في سببين اثنين :

أولها : قضية التزام المناصب الشرعية ، وهذا من خلال بيع وشراء المناصب [34].

ثانيها: انحصار حكم منطقة الحجاز في أسر معينة [35].

ثالثها: الجهل وانتشاره وسط بعض القبائل الحجازية . هذه الظاهرة كان لها الاثر السلبي على نفسية العياشي ، الذي اصبح يتعجب من وجود بعض الامن في مناطق من الحجاز [36] .

من خلال الصورة التي رسمها لنا العياشي في رحلته حول الوضع السياسي والذي وصفه بالوضع المتردي وانعدام الامن خلال القن 11ه(17م).يوكد ان العثمانيون لم تكن لهم القوة الكافية للتحكم في هذه المنطقة ،

وهـذا مـا جعلهـم يقتصـرون على التواجـد في المـدن الحجازيـة الكبرى الرئيسـية وهـذه الاسـتراتيجية طبقهـا العثمانيون في الكثير من إيالاتهم بالمنطقة العربية .

2.5.طبوغرافية منطقة الحجاز:

منطقـة الحجـاز هي منطقـة صحراوية بهـا الكثير مـن المرتفعـات الجبليـة والاوديـة [37]، فـالطبيعـة ومميزاتهـا تحكمت في اختيار الحجاج للطريق الساحلي وهو نفس الطريق الذي سلكه العياشي في رحلته وخاصة في بداية دخوله لمنطقة الحجاز ، حيث يذكر العياشي في رحلته بداية الطريق بقوله " فسرنا محاذين للبحر الى ان نزلنا الحوراء "[38].

ويحدد العياشي في رحلة منطقة بكر الدركين على انها الحد الفاصل بين أعراب مصر وأعراب الحجاز ، وسمي باسم لكر الدركين لانه يفصل بين ذرك اعراب مصر ودرك اعراب الحجاز [39].

اما عن بداية بلاد الحجاز وحدود المنطقة تبدا من منطقة العقبة السوداء وهذا ما تؤكده معظم المصادر [40]ونفس الراي يذهب اليه العياشي ، فالعقبة السوداء تختلف عن المنطقة التي قبلها وتحمل خصائص ومميزات أرض الحجاز ، كالرمال وكثرتها ، ومرتفعاتها تشبه مرتفعات الحجاز السود[41].ومنطقة العقبة السوداء توجد لها لعض الاشجار والجبال وبعض الابار، ثم بعد ذلك تتحول الطريق الى طريق داخلية نوعا ما مع واد العقيق ثم وادى النبط وبعده وادى النار ، وهذه المنطقة حتى ارض الينبوع تمتاز بكثرة اوديتها[42].

والمسافة الاجمالية بين العقبة ومكة تقدر بحوالي 1150كلم تطعها القوافل في مدة شهر تقريبا . ومن أهم المراحل بعد خليج العقبة نجد : أولا حضائر النحل ، ظهر الحمار ، عش الغراب ، مقابر شعيب ، مدين ، المويلح ، بندر الازلم ، اصطيل عنتر ، بدر الوجه ، اكده، العقبة الزرقاء ، الحوراء ، العقيق ، النبط، النار [43]

بعدها منطقة الينبوع وهي أول بلاد الحجاز العامرة ومن منطقة الينبوع الة مكة يصبح الطريق داخلي آهل بالسكان تنتشر به الينابيع والاراضي الزراعية ، ولعض الاودية . ومن أهم المراحل بين العقبة ومكة نجد العقيق ، النبط ، والنار ، الينبوع ، السقائف ...[44]. وحسب العياشي فان الطريق الى مكة به سبع وعرات أصعبها الاولى والاخيرة ، والطريق بين مكة وجدة هي مرحلة واحدة ، وبين مكة والطائف فهي مسافة يومين لوجود المرتفعات الجبلية الوعرة [45].

من خلال رحلة العياشي نلاحظ ان منطقة الحجاز منطقة صحراوية تحتوي العديد من الاودية كوادي النبط، العقيق ، أكره ، بطحان ، القناة ، العقيق [46].فالحجاز منطقة ذات درجات حرارة مرتفعة ، اضافة الى ظاهرتي البرق والرعد [47]. كما نحتوي عدة موانئ اهمها ميناء جدة [48].

من خلال وصف العياشي لمنطقة الحجاز نرى ان المنطقة من الناحية الطوبوغرافية لم تتغير كثيرا وبقيت تحمل نفس الخصائص والمميزات التي كانت عليها في الفترة الحديثة.

3.5.الجانب الاقتصادي :

رغم ما تتصف به منطقة الحجاز من قساوة الطبيعة الا ان العياشي في رحلته نلاحظ وجود نشاط اقتصادي قائم بمختلف قطاعاته من زراعة ، صناعة وتجارة .

1.3.5.الزراعة : تشهد الزراعة نوعا من الانتشار بالمنطقة وهذا يعود الى توفر العناصر الضرورية من آبار واودية خاصة في مواسم تساقط الامطار [49].ومن اهم المناطق التى تتوفر بها الابار منطقة العقبة السوداء والنبط ، كما تحتوي منطقة الينبوع بعض المزارع والحدائق بها اهم الفواكه، و منطقة القديد هي ايضا مشهورة بإنتاج انواع مختلفة من الفواكه من اهمها البطيخ الاحمر حيث يذكر العياشي : " دلاع جيد رخيس سموه بلغتهم الحبحب ولا يكاد ينقطع شتاء ولا صيفا الا سنة الجدب"[50].

اما المدينة فبها اجنة وحدائق من نخيل ، وهناك النوا يعملون بالبساتين والفلاحة خارج المدينة[51]. كما توجد بين مكة وجدة بعض المزارع والاشجار والثمار وخاصة فاكهة البطيخ (الحبحب) ، أم الطائف فبها عدة مزارع من نخيل قليل وأعناب كثيرة.[52]

تربية المواشي: هذا النشاط تختص به مجموعة من القبائل التي تنتقل الى البوادي حي الكلأ ، هذه القبائل تستعد لمواسم الحج ، كما أنها تتاجر مع سكان المدن[53].

2.3.5.التجارة : تعتبر التجارة بمثابة الركيزة الاساسية في اقتصاد بلاد الحجاز ، نتيجة للدور الذي كانت تلعبه ، ولتكون النجارة مزدهرة لابد من توفر مقوماتها الاساسية وحسب العياشي فان اهم مقوم للتجارة كان موجود الا وهو الاسواق ، هذه الاخيرة كانت موجودة لمختلف المحطات والمراكز التي يمر بها الحجاج ، ومن اهم الاسواق التي جاء ذكرها في رحلة العياشي سوق الينبوع التي اعرض بها مختلف البضائع والسلع والفواكه والثمار [54]، وتوجد عدة اسواق بمنى ومكة ، أنا جدة فأسواقها ممتدة على طول البحر [55]، وبالطائف عدة اسواق حافلة يقصدها الناس من مختلف المناطق مثل نجد وتدخلها عدة منتجات من حبوب ، التمور، والزبيب، والعسل [56].

من خلال وصف العياشي نستنتج ان اهم المراكز التجارية بمنطقة الحجاز يمثل في مكة ، المدينة ، جدة والطائف .

الاسعار: يعطينا العياشي فكرة عن الاسعار وبعض العملات المتداولة في اسواق الحجاز ،

، فالأسعار نجدها متغيرة غير ثابتة ، فهي مرتفعة في المواسم وتنخفض في فصل الشتاء وبداية فصل الربيع مع هطول الامطار[57].

المواصلات والنقل : كانت المواصلات متنوعة من بجرية وبرية ، فالبحرية تعتمد على الموانئ والسفن ، ومن اشهر الموانئ بالحجاز ميناء جدة الذي يمتاز بكثرة سفنه وتنوعها من الصغيرة الى الكبيرة ، والتى كانت مخصصة

للحمل[58].أما المواصلات البرية فهي تعتمد على الجمال والحمير لوجود مناطق وعرة ، تحتوي هذه المناطق أماكن يستريح بها المسافرون [59].

هناك اشخاص ينشطون في مجال كراء الجمال التي تحمل البضائع والسلع ، هذه الجمال يشرف عليها أناس يأخذون الاموال من الحمال والمكر، هذه المواصلات في مكة والمدينة .وهناك اشخاص مختصون في كراء الحمير أو بيعها وخاصة على مستوى المناطق الورعة كتلك المناطق الموجودة بين مكة والطائف[60] .

4.5.الحياة الاجتماعية :

ان الاستقرار هو ما يميز بلاد الحجاز بصفة عامة ، هذا الاستقرار نلاحظه خاصة في المناطق التي بها الشروط الضرورية للحياة كالواحات حيث وجود المياه ، والاراضي الصالحة للزراعة وتربية المواشي .

أول بلاد الحجاز العامرة بالسكان حسب العياشي منطقة الينبوع ، هذه الاخيرة بها عدة قرى عمرانها متصل ببعضه البعض بنحو ثلاثة اميال [61].ومن اهم المناطق والمدن من حيث السكان نجد مكة والمدينة وجدة والطائف ، ولكل مدينة من هذه المدن خصائصها ومميزاتها وهذا حسب طبيعتها الجغرافية ، فمدينة جدة تشتهر بكثرة المقاهي ، وهي مدينة تمتد على الساحل بها مجالس حسنة تحتوي على عدة أسرة منسوجة لشريط المسد بصنعة محكمة .وسكان جدة يهتمون كثيرا بهذه المجالس حيث يبالغون في كنسها خاصة وانها مجالس غالبية سكان المدينة [62].أما الطائف فيصفها العياشي على انها مدينة ذات قصور في مستوى الارض تحيط بها جنات من نخيل وفواكه [63].

ومكة فجاء ذكر سكانها على انهم مازالوا محتفظين على اعرابيتهم وغلبت عليهم البداوة ، وهذا بسبب معاشرتهم لأهل البادية ، وهذا رغم وجود منازل لهم بمكة ، واولادهم عندما يزدادون يسترضعون لهم عند العرب بالبادية ، والولد لا يؤنس به حتى يقارب الحلم ، ويصف لنا العياشي لباس أفراد الاسرة الحاكمة على انه رغم اناقته الا انه يجسد زي اللباس العربي مع وجود العمامة القصيرة ذات الاهداب الطويلة [64]. وبصفة عانة الملاحظ على سكان مكة هو بقائهم محافظين وغلبت عليهم البداوة في جميع شؤونهم ، وكان لهذا السبب دورا كبيرا في قلة الاعجام بمكة عكس المدينة المنورة[65].

أما المدينة المنورة فسكانها مولعون بأكل اللحم ، ونساؤهم لا تطلخ الا بحضور اللحم ، ومن شدة حبهم للحم عملوا على شراء العبيد ينون عمله شراء اللحم[66]. وسكان المدينة اغنياء وهذا ما يدل عليه لباسهم . ونتيجة لكثرة الاعاجم بالمدينة المنورة اكتسب سكانها بعض صفاة العجم من حيث اللباس والاكل . اما نساؤهم فكانوا يهتمون بأنفسهم وكان لهم عادة يطلقون عليها الشخشخة وهي كل ما تشاهيه المرأة من الازهار وهذا كان يكلفها حوالي ريال في كل يوم [67] .تحتوي المدينة عدة اجناس من اكراد وترك واناس من أطراف الشام [68]

القبائل : توجد بمنطقة الحجاز العديد من القبائل يمكن تقسيمها الى قبائل عدوانية تمتهن قطع الطرق والقيام بأعمال النهب والغصب هدفها من هذا الحصول على الاموال المؤن والذخائر[69] .في المقابل النوع الثاني قبائل

مسالمة تقوم بالضيافة وحماية الحجاج [70] ومن اهم القبائل التي جاء ذكرها في رحلة العياشي قبائل عنزة وقبائل جهينة [71].

المأكولات :من اهم المأكولات المشهورة بالحجاز اكلة الهريسة باللحم [72]

الامراض : تعددت الامراض بمنطقة الحجاز ومن اهم الامراض التي ذكرها العياشي نجد الحمى الصفراوية بالمدينة المنورة ، كما أن الطايف بها لعض الامراض خاصة مع كثرة الامطار [73].

5.5.الحياة الفكرية والدينية :

من حلال رحلة العياشي كانت الحجاز تعرف نوعا من الحركية الثقافية خلال القرن السابع عشر (11ه) ، وهذه الحركية شملت كافة مناطق الحجاز وخاصة المدن منها والتي على راسها مدينة مكة والمدينة المنورة .فكان هناك عددا كبير امن العلماء يتولون التدريس ، اضافة الى مهمة القضاء ، الفتوى والامامة والخطابة . ومن عاداتهم الانقطاع عن التدريس يومي الثلاثاء و الجمعة [74].

أما المكتبات فبلاد الحجاز تحتوي عددا منها بها عددا هائلا من الكتب. ويعود الفضل الكبير لهذه الحركية الثقافية وازدهارها يعود الى وجود عددا هائلا من المساجد وعلى راسها المسجد النبوي بالمدينة المنورة والمسجد الحرام بمكة ، اضافة الى مساجد مدينة جدة وغيرها من المساجد[75].

ذكر لنا العياشي عدد كبيرا نت المزارات وقبور الصالحين بمنطقة الحجاز[76]. اما الطرق الصوفية فالحجاز بها عدة طرق صوفية من اهمها المحمدية ، الشاذلية ، المدينية ، الشاطرية ، الجزولية ، النقشبندية[77].

أما من حيث العبادات فيذكر العياشي ان منطقة الحجاز تنتشر بها العبادات من تهليل ، تكبير ، وصلاة وخاصة بمدينتي مكة والمدينة المنورة وخاصة في شهر رمضان . رغم كل ما كانت تعرفه الحجاز من ازدهار ثقافي الا ان الجهل لايزال منتشرا ببعض المناطق الحجازية [78]. كما كان انتشار بعض البدع والضلالات وهذا رغم ما تمثله المنطق من رمزية دينية كونها مركز لبيت الله الحرام ومدينة رسوله الكريم. ومن اهم البدع التي كانت منتشرة بين الناس ما يعرف بالوقدة للدر وهذه البدعة تتمثل في شعل الشموع زاعمين انها اقتداء بالصحابة ، اضافة الى التمسح بهضبة ببدر [79].

من خلال ما سبق نستنج ان الحجاز رغم البدع وغيرها من الامور السلبية الا انها تبقى من ازهى المناطق الاسلامية وهذا على المستويين الفكري والديني

الخاتمة:

من خلال تطرقنا لموضوع رحلة العياشي كمصدر لتاريخ الحجاز خرجنا بعدة استنتاجات نلخصها في النقاط التالية :

*رغم كل ما يقال عن رحلة العياشي كونها مملوءة بالاستطراد والمزارات والاجازات الا انها تبقى ممن اهم المصادر التاريخية القيمة لدراسة تاريخ الحجاز ة وهذا نظرا لما احتوته من معلومات قيمة غطت مختلف مجالات الحياة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية وحتى الفكرية والدينية وهذا خلال الفترة الحديثة (القرن 11ه-17م).

* وتكمن رحلة العياشي في كونه ابتعد عن التقاليد التي أسسها الرحالة الاولون كابن جبير الاندلسي ، والعبدرلي وغيرهم من الرحالة ، حيث نجد أن العياشي بوصف مراحل الرحلة والاعتمام بالناحية الطبيعية والجغرافية ، وبالسكان وعوائدهم وأخلاقهم مما يجعل القارئ يقرأ الرحلة وهو يتلذذ مستفيدا من معطياتها . وبهذا يكون العياشي قد جعل من رحلته مؤلف علم حشر فيه من المناقشات العلمية الفقهية والصوفية وغيرها ، والاكثر من هذا الاجازات والاسانيد ، الشيء الدي كان السابقون يخصصون كتب البرامج والفهارس لذلك الذوق العام.

* من خلال رحلة العياشي نلاحظ انه رغم قساوة طبيعة منطقة الحجاز من تضاريس وعرة كالجبال وحرارة ورمال الا ان العنصر البشري بها استطاع ان يتأقلم وينجز الكثير في مختلف المجالات الاقتصادية كالزراعة وغيرها والثقافية ....

*رغم وجود المقدسات الدينية من بيت الله الحرام ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ورغم ما تمثله المنطقة للمسلمين الا ان هذا لم يمنع من ظهور بعض البدع بين الناس . هذا من جهة ومن جهة ثانية وجود لعض الناس لهذه المنطقة لا يفقهون في الاسلام شيئا.

*تعطينا رحلة العياشي صورة تكاد تكون كاملة عن الحياة الاجتماعية بمنطقة الحجاز من كل الجوانب العادات والتقاليد في الاحتفال وفي المآكل والمشارب وغيرها من الامور الاجتماعية ، فضلا عن التطرق الى تركيبة المجتمع من حيث العناصر المكونة له .

* التكوين الديني للعياشي وتشيعه بالتصوف كان له الاثر الكبير في ملاحظات العياشي وتركيزه على المجال الدينى والفكري في منطقة الحجاز وهذا من خلال ذكره للطرق الصوفية المنتشرة بالمنطقة . اضافة الى احتكاك العياشي بابهم علماء الذين لقيهم بالحجاز خاصة بالمدينة المنورة ومكة ونهله منهم اهم العلوم والتي توجت بحصوله على اجازات عدة .

الهوامش:

[11]- عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة الحجازية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد ، تحقيق وتخريج وتعليق ، الشيخ تحمد فريد المزيدي ، المجلد 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ج1،ط 1، 2011، ص 7.

[2]- مولاي بلحميسي ، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981، ص17.

[3]- مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج2، مطبع جامع الرياض 1399ه/1979م، ص294.

- بلحميسي ، المرجع السابق ، ص 17.

[4]- بلحميسي ، المرجع السابق ، ص 17.

[5]- ، المرجع السابق، ص 294

[6]- العياشي ، مرجع سابق ، ص 8،7

[7]- بناهض عبد الكريم ، "التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب من خلال رحلة العياشي (ماء الموائد) "، ، مجلة الذاكرة ، العدد 10، 2018، ص ص 65-57

[8]- نفسه ، المرجع السابق ، ص

[9]- العياشي ، المصدر السابق ،ج2، ص 422

[10]- بلحميسي ، المرجع السابق، ص 18.

[11]- ، المرجع السابق ، ص 294

[12]- نفسه ، ص 302.

[13]- مجلة دعوة الحق ، مجلة شهرية ، العدد الثاني ، 1378ه/1958م ،

[14]- بناهض عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص57-65

[15]- عبد العزيز يوسف عماد ، **الحجازفي العهد العثماني 1876-1918**، ط1، شركة الوراق للنشر ، لغداد العراق ، 2011، ص ص 31،30.

[16]- نفسه ، ص ص 30-31

[17]- نفسه، ص ص 34-35

[18]- اسماعيل احمد ياغي ، **العالم العربي في التاريخ الحديث** ، ط1، مكتبة العبيكان ، الرياض، المملكة السعودية ، 1418-1997، ص ص42-43 .

[19]- ايفانوف نيقولا ، **الفتح العثماني للأقطارالعربية** ، ترجمة يوسف عطا الله ، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ، ط1988،1، ص 74

[20]- عويضة بن متريك الجهني ، "السلطة العثمانية في الحجاز أواسط القرن 11ه/17م كما يعكسها عهد شريف مكة زيد بن محسن (1041ه/1631-1077ه/1666م) "، **المجلة الاردنية للتاريخ والاثار** ، المجلد 2، العدد2، 2008، ص 132-133.

[21]- نفسه ، ص 74

[22]- نفسه ، ص75،74

[23]- نفسه ، ص 132-133.

[24]- نفسه 133،132

[25]- العياشي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 104، 288

[26]- نفسه ، ص 105

[27]- نفسه ، ص298

[28]- عويضة ، المرجع السابق ، ص 154،153

[29]- نفسه، ص 155

[30]- نفسه ، ج1 ، ص 248.

[31]- عويضة ، المرجع السابق ، ص ص 132، 157.

[32]- نفسه ، ج2، 191

[33]- نفسه ص، ص 311،268

[34]- العياشي ،المرجع السابق، ج2 ،ص288

[35]- نفسه ،ج2 ، ص309

[36]- نفسه ، ص132، 312

[37]- مصادر ،تالمرج السابق ، ص 405

[38]- العياشي ، ج 1 ، ص176

[39]- نفسه ، ص 176

[40]- المصادر ،المرجع السابق، ص37

[41]- العياشي ، المصدر السابق، ج1، نفسه، ص 176

[42]- نفسه ، ص 176-177

[43]- المصادر ، ص 410.

[44]- العياشي ،المصدر السابق ، ج 1 ، ص 177

[45]- نفسه ، ج2، ص 116

[46]- نفسه، ص 116.

[47]- نفسه ، ج 1 ، ص182

[48]- نفسه، ج2 ، ص 105

[49]- نفسه ، ج1، ص 176-177

[50]- نفسه ، ص 176-177. ج2 ص 186

[51]- نفسه ، ص 284

[52]- نفسه ، ص

[53]- نفسه ، ص 300

[54]- نفسه ، ص 178

[55]- نفسه ، ج2 ، ص ، ص 105، 125، 279

[56]- نفسه ، ص 123

[57]- نفسه ،ج1، ص 302

[58]- نفسه ،ج2 ، ص 105

[59]- نفسه ، ص94، 104

[60]- نفسه ، ج1 ص300، ج2 ص 104،110

[61]- نفسه، ص177

[62]- نفسه ، ج2، ص 105

[63]- نفسه ، ص 116

[64]- نفسه ، ج1، ص 303

[65]- نفسه ، ج 1، ص 303

[66]- نفسه ، ص 302

[67]- نفسه ،ص 302

[68]- نفسه ، ص 302

[69]- نفسه ج2 ص 190

[70]- نفسه ، ص93

[71]- نفسه ،ص 93

[72]- نفسه ، ج1، ص 285

[73]- نفسه ، ج 2 ، ص 123

[74]- نفسه ،ص، ص 286، 288،296.

[75]- نفسه ، ص 105

[76]- نفسه ، ص 102- 104

[77]- نفسه ، ص 217

[78]- نفسه ، ج1 ، ص312

[79]- نفسه ، ج2، 181